الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

م	
٣٠	في مصر والسودان
٥٠	في الممالك الأخرى
١	ثمن العدد الواحد

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

العدد ٦٠ — ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — ١٥ يولية سنة ١٩٣٩ — السنة الثالثة

فهرس العدد

صفحة			
٦٧٤	ماذا رأى فاسيل ؟	للمرحومة الملكة ماري ملكة رومانيا	بقلم الأستاذ سعد حسين سعد
٦٨٢	الذكرى الخالدة	أقصوصة مصرية	بقلم الأديب م . عبدالقادر المازني
٦٩٢	السفينة السوداء	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار
٦٩٦	حيلة ممثل	« «	بقلم الأديب مصطفى صبحي ...
٦٩٩	حاجة في نفس يعقوب	أقصوصة مصرية	بقلم الأديب عز العرب علي ...
٧٠٢	هندية	« «	بقلم الآنسة جميلة العلايلي ...
٧١٠	الرجوع إلى القرية	« واقعية	بقلم الآنسة نعيمة المقرن ...
٧١٣	عروس البحر	للكاتب الدانمركي « أندرسن » ...	بقلم الأديب كمال الحسيري ...

ماذا رأى فاسيلي ؟

للمرحومة مارى ملكة رومانيا

بقلم الأستاذ سعد حسين سعد

كان الوقت ليلاً وكان البرد قارساً والريح تعصف بشدة فوق السهل ، والنجوم تبدو صغيرة وهى تومض على علو شاهق فى السماء كأنما قد تباعدت ما استطاعت من البرد الجاثم على الأرض . وكان الثلج الكثيف المغطى للسهول من شدة البياض بحيث كان يعكس بعض الضوء . ومن حين لآخر تثير الريح المسطح الثلجى النائم وتطارده على هيئة سحاب صغير يطير فى الهواء ملتمساً الخلاص منها

ليلة كئيبة ساقطة النواحى ، من تلك الليالى التى يخال المرء فيها أشباحا هائمة . وكلما خفت عواء الريح سمع صوت مشؤوم يهدر من آن لآخر خلال الظلمة ، صوت بعيد يحمل فى موجاته دوى الحرب . وعلى مقربة من الطريق الذى يلوح حتى فى الليل كخط ضعيف أسود حيث تلوث فيه بياض الثلج بالأقدام الكثيرة جلس جمع من الجنود يرتجفون حول نار كادت تخبو

وكأنما اصطلحت عليهم هوج الرياح فراحت ترميهم بأكوام الثلج كما تتراءى الأمواج المزبدة على إحدى الصخور . فشد الجنود بنيقاتهم إلى ما فوق آذانهم وأنزلوا قلانسهم حتى غطت جباههم . لكن لا الفرو ولا القماش استطاع أن يحميهم من تلك الزوبعة الثلجية

كان الجميع زهاء اثنى عشر جندياً ، من بينهم أربعة رجال ملتحون وشاب حديث السن ، يحرس بضعة أسرى جالسين فى أسمال رثة حول جمرات النار الأخيرة وعليهم ذلة محزنة . كانوا جالسين القرفصاء ورؤوسهم ناكسة على ركبهم ، قد أخفوا وجوههم الأجنبية من الثلج كما أخفوها من نظرات الآخرين التى كان ملؤها مزيجاً من الشفقة والاحتقار ؛ وكانت أيديهم العارية مشققة وارمة من الصقيع ، وأجسامهم تنتفض فى تشنجات ، إما من البرد أو الحزن أو الخوف — أو منها جميعاً !

لم يلق حراسهم إليهم بالاً ، وإنما جعلوا يتحدثون فى جمل قصيرة خيل إليهم أن الريح تمزقها ، إلى رفيقهم الشاب الوحيد الذى وقف متكئاً على بندقيته كما يتكئ الرعاة على عصيهم . كان فتى صغيراً فى الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة تقريباً . وكان يحدق فى دجى الليل بنظرة حالمة تبدو فى عينيه الخضراوين الواسعتين ، وفيما حوله تتراقص ندف الثلج ثم تسكن على فرو قبعته وعلى أهدابه الطويلة ، مما جعله يمر بيده من وقت لآخر على وجهه

قال رجل من أكبرهم سناً :

«فاسيل ، إن النار آخذة فى الانطفاء . وسنموت من البرد قبل انقضاء هذه الليلة اللعينة »

ودمدم آخر قائلا : كان علينا ألا نضل الطريق

فعاد الأول يقول : لم نأت ذلك عن قصد . وكان هذا هو قائد تلك الثلة الصغيرة من الجنود المنوطة بأولئك الأسرى، وكان يدعى أندريه سكرتو، وهو جاف الطبع، ينقاد إليه الآخرون على كره منهم

قال : كيف يمكن الإنسان أن يقطع أية مسافة وقدماه متجمدتان حتى ولو لم يكن معه سوى الأسرى ؟ كان علينا أن نبلغ القرية قبل الليل ، لكنا وا أسفا لم نفعل . وقد نصبح قليلاً من كثير إذا بقينا هكذا حتى الصباح ، ولن يكون هذا ذنبنا ولا نقمة الله

فسأل أحدهم : ذنب من إذن ؟

فقال رجل مسنّ يدعى بيتر باسكا : ذنب الحرب

فدمدم سكرتو : الحرب ، الحرب ! إن الحرب تأتى كالصيف القاحل أو كالفيضان الجارف عند ما يكون النبت صغيراً

فقال آخر وهو يحاول عبثاً إذكاء النار الخامدة : إن هؤلاء الأعداء الألمان هم أعوان الشيطان !

فقال سكرتو : ألا فليتخبطهم الشيطان إذن ! ثم بصق فى الجمر توكيداً لكلماته

فاتجه فاسيل إليهم بوجهه الصغير المثلوج ثم قال : إنى أرثى لهؤلاء الأسرى

فارتفعت أصوات كثيرة محتجة : ترثى لهؤلاء الكلاب الأجانب !

فأوضح فاسيل : إنهم حديثو السن بعيدون عن وطنهم

— ونحن ، أين نحن إذن ؟

— نحن لم نزل فى الأراضى الرومانية !

— إذا كنا كذلك فليس هذا ذنبهم !

وهبت نفحة من الريح هيجت موجة عظيمة من الثلج فولوها ظهورهم يتقون بها هجومها

قال أحدهم : ليلة ذئاب

وقال ثان : ليلة شياطين

وقال ثالث : « ليلة أموات »

ثم عاد سكرتو يقول : « فاسيل ، سنتجمد إن لم نجد خشباً »

فأجاب فاسيل وهو معتمد بندقيته كمصى الراعى: أين يمكن العثور على خشب فى هذا القفر ؟

فقال بيتر باسكا : إن رجليك فتيتان ، ومع ذلك فالليل ليس حالك الظلمة ...

فقال شخص من الجانب الآخر : أجل ، ليس حالك الظالمة بسبب الثلج !

وكرر آخر وهو يئن : هذه ليلة شياطين !

فعاد بيتر باسكا يقول : فاسيل ! إن رجليك فتيتان ...

فرفع سكرتو عينيه . وكان يحاول إشعال لفافة تبغ . ثم قال : نعم ، نعم . إن رجليك فتيتان فلماذا لا تذهب للبحث عن بعض من الخشب ؟

فاحتج فاسيل قائلا : إنى هنا لحراسة الأسرى . وضرب قدميه إحداهما فى الأخرى دون أن ينتقل من مكانه !

فصاح سكرتو: إن كلباً يمكنه حراستهم. وفوق ذلك فإنى هنا لآمر !

فضحك أحدهم ضحكة خشنة وقال : اسوف تزهى امرأتك العجوز بمفاخرك

— دع امرأتى وشأنها . لقد كانت صغيرة فى أيامها ، وها هى ذى قد أنجبت لى أطفالاً كثيرين معظمهم صبيان

— وأين هم ؟

فهز سكرتو كتفيه ورفع يديه فى ابتهال . ثم قال فى غموض : الله وحده يعلم نهاية هذه الحرب .. وهؤلاء الألمان

فقال أحدهم : هم يعرفون كيف يقاتلون

وردد صوت من الظلام : هم أعوان الشيطان

فقال آخر : لا فائدة لنا من هذا

فقال سكرتو فى سخرية : بل من مدافعهم !

وكان أثناء ذلك يحاول أن يشعل بالزند لفافة تبغ رطبة

فسألهم فاسيل : ألا تسمعونها الآن أيضاً ؟

فقالت عدة أصوات معاً : سحقاً لها !

وأعقب ذلك صمت شامل لم يكن يقطعه سوى عواء الريح فى الليل

وبدأ بيتر الكلام وكان ملحاحاً : فاسيل ، إن رجليك فتيتان والخشب لا بد موجود فى مكان ما ؛ ثم إن الليلة ليست حالكة الظلام

فأمن سكرتو على ذلك قائلاً : إن لم نجد شيئاً نشعله فسنهلك جميعاً قبل الصباح . احمل بندقيتك يا فاسيل وامض للبحث . أقل شىء يكفينا

فهز فاسيل كتفيه قائلاً : ليكن ما شئت ثم احتمل بندقيته على ظهره دون أن يبدى اعتراضاً آخر ، ومضى لطيته يخوض الثلوج الكثيفة الوعثاء فى خطوات جامدة لا يبالى فى أى طريق ذهب ، إذ لم يكن يدرى فى الواقع أين يجد الوقود ... فالوقت ليل ، والسهل أجرد . وليس ثمة أكواخ ولا أشجار ولا أسوجة ولا أى شىء ... بل ولا بئر خشبية فماذا يستطيع أن يجد ... ؟ فاستسلم للمقدور وراح يخبط فى غياهب الليل المترامية

وبينما كان يدب فى الظلام مرت به أفكار كثيرة مضطربة ، ورأى رؤى سعيدة لا تمت للحرب أو الشتاء بصلة . رأى وادياً خصيباً يخترقه طريق طويل مترب يؤدى إلى قرية اختفى نصفها بين أشجار الفاكهة ، وكان الوقت عند الغروب وقد عاد قطيع من الثيران خلال الطريق يتبعه شاب يمشى الهوينى وبيده عود أخضر .. كان يصفر لحناً شجياً هادئاً لا يفتأ يردده مرة بعد أخرى

حاول فاسيل على غير وعى أن يصفر اللحن لكن شفتيه كانتا مشققتين من الصقيع فلم يخرج منهما سوى بضع نغمات سحرية رنت فى الظلمة

غير أن الشاب لم يزل يسير الهوينى ، والوقت مغيب والثيران تثير غباراً يعفر يديه ووجهه ...

كان الطريق طويلاً ، لكن لم يكن هناك داع للعجلة فلم يحفل بالوقت أحد لا الشاب ولا الدواب...

وعند ما بلغت الثيران الرمادية الرزينة القرية مال كل منها إلى مقره . . . وأخذ القطيع يتناقص بينما كان الشاب يسير ، وهو لا يزال يصفر أغنيته ويلوح بالعود فى الهواء

وكان هناك بضعة أطفال صغار وطائفة من الخنازير الداكنة تنكث فى الأرض ، فلما مر الشاب والثيران جرت وتفرقت فى كل جهة ... وكانت الخنازير ذات ذيول قصيرة جعدة ، وحركاتها فى طفراتها جامدة مضحكة . وكان الأطفال صخابين نصف عارين لا تكاد تغطيهم قمصانهم البالية .

وأمام كل منزل تقريباً تكونت كومة عظيمة من القرع ، وتدلت على طنف البيوت قلائد طويلة من نبات أرجوانى اللون ، وانتشر غبار خفيف فوق القرية ، وسرى فيها كسل الرضى ، وخيم عليها جميعاً السلام ...

عثرت قدما فاسيل فى شىء فسقط على ركبتيه سقطة لينة إذ كان الثلج عميقاً ؛ غير أن تلك الرؤى السعيدة لم تلبث أن اختفت وعاد كما كان وحيداً يرتعد فى الليل ، على حين أقبلت أصوات الدافع البعيدة تزجى إليه الحقيقة وتؤكدها .

قال مدمدما : « الخشب ، الخشب ! إنى لأعجب كيف أجد خشباً فى هذا القفر اللعين ! يا لها من ليلة ! فالريح تمزق كالسياط ، والثلج الذى تقذف به فى وجهى يخز كالإبر . فأين قدر لى أن أجد الخشب ! »

ثم وقف وطفق يضرب جانبيه بيديه الحدرتين . ولما كان سيره اعتسافاً فإنه لم يلزم الطريق ، بل جعل يتخبط فى الظلام . ولم يستطع أن يبصر كثيراً ، لكنه كان يتبين من حين لآخر هنا وهناك بقاعاً قاتمة حيث يخف الثلج فوقها ، وربى غير محدودة الشكل وركاماً من الحجارة وحصاناً ميتاً وكوماً من القش العفن ... وهذه جميعاً ربما كانت تنطوى فى وحشة الليل على معنى مخوف ، فكل شىء جائز فى زمن الحرب

فارتجف وقام أمامه ثانية خيال القرية الهنيئة ، وعاد يرى كومة القرع البرتقالى ، ومن وراء أحد الأسوجة أرسلت فتاة صوتها العذب بالأغنية التى كان الشاب يصفرها . فصرخ فاسيل مقصياً تلك الرؤى السعيدة : « لكن لا بد أن أجد خشباً ! الآخرون يتجمدون ولا يمكن أن أمضى سواد الليل جائلاً »

عاد ينعم النظر حوله فلاح له الخط القاتم من الطريق المعبد غير بعيد . وبدا له من الأسهل أن يمشى فوقه فيمم شطره فى بطء وعناء ، إذ كانت الأرض وعثاء ، وكان فى حالة إعياء ، وقدماه باردتان بدرجة مخيفة ، وفجأة جمد فى مكانه وأجفل : ما ذاك الذى يرى هناك ؟ فقد وقفت ثلاثة أطياف عجاف جنباً إلى جنب ... ثلاثة هياكل عظمية منعزلة قائمة فى غموض خلال الليل

تخفق قلبه ، وتبللت راحتاه بعرق فجأة : ما هذه يا ترى ؟ ما أرهب وحشة الليل ! ومع ذلك لماذا يفزع ؟ فالأشباح أشباح — قلما تؤذى — وشر منها حقاً ملاقاة ألمانى حى ! غير أنه فى تلك اللحظة أيضاً لم يكن على يقين : هل الأفضل أن يكون أحد الألمان ؟

تغلب فاسيل على إحجامه بمشقة ، وخطا نحو الأطياف الثلاثة التى كانت واقفة بغير حراك ، وهو يدنو منها ... لم تكن إلا ثلاثة صلبان ! ثلاثة صلبان خشبية منعزلة قد أثرت فيها الأنواء ! ثلاثة قبور مهجورة !

فرسم فاسيل علامة الصليب بوحى الغريزة ... وصلى وهو يلهث صلاة على أرواح الموتى . وقف يتفرس فى هذه الدمى الكئيبة ، وقد دار رأسه : هل هى قبور جند ؟ أم قبور نساء ؟ أو لعلها قبور أطفال صغار ... أطفال صغار ماتوا جوعاً وبرداً ؟ فقد بدأت الحرب كثير من الأطفال مات جوعاً وبرداً .

وعندئذ أدرك ، وقد أجفل ، أن الصلبان مصنوعة من الخشب ... من الخشب الثقيل ! أو لم يرسل فى هذا الليل ليبحث عن خشب ؟ ...

لبث واقفاً أمام الصلبان الثلاثة كمن يحدق فى كنز استكشف على غير انتظار ، ولا يجرؤ أن يأخذه . كان الخشب يغريه ، لكنه لم يجرؤ أن يلمس الصلبان ، ولم يشأ فى الوقت نفسه أن يبرح !

واستبد به إغواء شديد : لم لا ينتزع أحد هذه الصلبان ، ويعود به لإطعام النار الخامدة التى تركها ! فالأموات هم أموات مهما يكن من الأمر ! ولو مهم

من العمق بحيث لا يسمعون ما يجرى فوق رؤوسهم ! والحمد لله على أنهم ينامون هذا النوم العميق؛ وإلا من كان يمكن أن يمر بفكره مثل هذا الخاطر !

فتقدم بضع خطوات وألقى يده على أول صليب، وعندئذ استولت عليه كزازة نفسية عظيمة — كلا ! إن مثل هذا العمل انتهاك حرمة. إن الأموات يجب احترامهم ، بل ويجب احترامهم أكثر من الأحياء . سيقابل هذا العمل بالاستهجان من الله والإنسان . إن الأموات لا يملكون الدفاع عن أنفسهم ولكنهم تحت رحمة من يمر بهم — لهذا وجب احترام القبر كهيكل الكنيسة ... كان من المستحيل حقاً أن يضع يديه على الصليب الذى هو آخر هدية لعزيز طواه الفناء

وارتفع صوت الإغواء ثانية فى نفس فاسيل . فالأموات هم أموات ، وقد زالت آلامهم بينا هناك رجال يتجمدون لنفاد الخشب، رجال شجعان يؤدون واجبهم . إن انتهاب الأموات ولا شك خير من ترك الأحياء يموتون وهم الجنود البواسل الذين يذودون عن وطنهم ! ولو قدر الموتى على الكلام لصاحوا به أن يأخذ صلبانهم — جميع صلبانهم ! ليصطلى بها حماة الوطن الشجعان الذين يموتون من البرد ...

وفى حركة سريعة أمسك فاسيل بأول صليب وحاول أن ينزعه من الأرض المتجمدة ... لكن الصليب قاوم — قاوم كأنه شجرة راسخة عميقة الجذور ، كأنه مخلوق حى يحمى حرماً مقدساً . فغلى الدم فى عروق فاسيل ، إذ نبهت فيه المقاومة غريزة النضال الكامنة فى كل رجل . وانقلب الصليب العنيد خصماً له يجب أن يغلبه

وعندئذ جرى فوق ذلك السهل المقفر الصراع ، بينما كانت الريح تعوى عواء مخيفاً والشاب ينازل الصليب الخشبى ! وأبدى الصليب مقاومة تكاد تكون بشرية ، واستقتل الشاب فى العراك كأنه بإزاء عدو يجب قهره ؛ فلف ذراعيه حول الصليب وجعل يجذبه ويدفعه ويهزه والنصب العنيد لا يلين. فجرى العرق غزيرا على وجه فاسيل وكان قد ألقى قلنسوته وألقى البندقية عن ظهره ، فاستمر يناضل ويناضل بكل قواه فى إصرار مشوب بالمقت

وعلى حين فجأة أذعن الصليب فهوى فاسيل معه إلى الأرض حيث بقى ممدداً فوق خصمه الصريع — خصمه الذى لم يكن سوى صليب خشبى ! — وجعل فاسيل يلهث بعض الوقت وما برح ضوء المعركة فى عينيه ، والريح تعوى حوله وتلطم وجهه بقذائف من الثلج ... لكنه انتصر ! لقد استأصل الصليب ووجد خشباً لنار الأحياء .. وفى هذا كل مبتغاه ...

كانت النار قد خبت حتى الجمرات فقد خمدت فحمدمها الحديث وجلس حولها الأسرى والآسرون فى استسلام صامت كأنهم أكوام من الملابس القديمة الملقاة ، لا يميزهم فى تلك الليلة الأليمة بعضهم عن البعض إلا اختلاف بسيط فى الهيئة

وسمع خلال الظلمة صوت ضعيف لشخص يقترب منهم ، ولم يمكن تبين شئ منه أول الأمر. وعلى حين فجأة تراءى فاسيل أمامهم يجر خلفه شيئاً ثقيلاً أسود كالشبح

خشب !

ارتفعت صيحة فرح من حلقة الجمع الجالسين

حول الرماد ورنت أصواتهم المبحوحة تحيي عودة فاسيل ، ونهض بوحى الغريزة عدد منهم يبحث عن الزند بأصابع خدرة لا تكاد تطيع

لم يقل فاسيل شيئاً . كان يلهث . كانت عودته خلال الليل أشبه بمعركة ـ معركة مع الريح والثلج والبرد ـ وبالأخص مع ضميره . لهذا لم يقل شيئاً ، وإنما طرح الصليب الثقيل بحركة ختامية عند أقدام هؤلاء الذين كانوا بانتظاره ...

كان سكرتو أول من أدرك حقيقة الوقود الذى أتى به فاسيل

فأفلتت من شفتيه شبه لعنة وغمغم : « هذا صليب صليب ... صليب ! »

وقام آخرون لفحص الخشب المنتظر ، فارتفعت منهم صيحات مختلفة .

رفع الأسرى وجوههم وحدقوا بعيون منكسرة فى المتكلمين ؛ لكن فاسيل كان صامتاً قد أضناه التعب فتهالك على الثلج .

صاح سكرتو : « صليب ! كيف يجرؤ أن يأتى بصليب ! » .

فغامر أحدهم قائلاً : « ولكنه خشب ونحن نرجف من البرد »

— فلتكن مشيئة الله . ولكن لا يمكن أن نحرق صليباً !

— هذا انتهاك

— لو فعلنا لحلت علينا لعنة الله !

— والأموات أيضاً !

— لكننا نرجف من البرد ، وإن الأموات أموات ...

— ما الذى يفيد الأموات لو تجمدنا ؟

— الوطن فى حاجة إلينا للدفاع عنه

— يوجد أموات كثيرون جداً بدون صليبان !

— يا للعار ! منذا الذى يجرؤ أن يحرق صليباً ؟

وسرعان ما تصاعدت الصيحات من الجميع ما عدا فاسيل والأسرى فكانوا صامتين . واستحوذ على فاسيل حياء وإعياء وامتلأ صدره حقداً . ماذا كان يمكنه أن يفعل ! لم يجد شيئاً آخر ...

وارتفعت أصوات الرجال واحتدم بينهم النزاع . وكانت الريح تعصف بعنف وتعلو على الأصوات البشرية الضئيلة

صاح سكرتو فى غضب : « لن أسمح بذلك ! أهون عندى أن نهلك جميعاً من البرد من أن نحرق صليب المسيح ! »

لم يتزحزح الرجل المجوز عن موقفه وألقى عليه زملاؤه نظرة فيها تحفز وسخط ، وتكاثف الثلج المتساقط عليه ، وعلت سحنته الدميمة زرقة من شدة البرد فجعل يضرب قدميه المتجمدتين فى الأرض ويصفق بيديه ويضرب بهما جانبيه وهو يحاول عبثاً التغلب على الصقيع . ونظراً لأنه كان رئيس الفرقة فلم يمكن الإقناع ولا التهديد أن يحوله عن رأيه : « أهون على أن نموت وأن تجمد دماؤنا من أن نقترف إثم إحراق شارة المسيح المقدسة ! »

وساد الصمت تلك الجماعة المعذبة التى كادت تتجمد . كانوا مكدسين ناكسى الرؤوس حول الرماد البارد ، عدو إلى جانب عدو يقاسون ويتعذبون بعد أن فشلت كل محاولة — ولكنهم بعد رجال والله موجود عليم بأهوال ليل الشتاء !

وكان فاسيل قد انتحى جانباً ورقد ممتداً رأسه فوق الصليب الذى بذل جهداً عظيماً فى حمله

من مسافة بعيدة . ونفر عنه النوم فأخذ يفكر فى مشا كل الحياة بالرغم من أن البرد قد خدر مداركه التى لم تكن قط بهذه الحدة

لماذا الحرب؟ لماذا نتعذب ونقاسى البرد ونضحى بينما العيش خفض — لماذا؟ لماذا؟ لماذا اجتوتنا رحمة السماء؟ لماذا الرموز والخرافات والعصبيات التى ليس لها معنى واضح ولا منفعة حقيقية؟ لماذا العذاب بين الأمم؟ لماذا الموت والفظائع من كل نوع؟ لماذا؟ لماذا؟

وزمجرت الريح حوله ، وكان من آن لآخر يرفع يده وقد تحجرت من البرد ليمسح الثلج من على عينيه

لماذا يتعاقب الشتاء والصيف؟ لماذا البعد والحنين والأمور التى تذهب ولا تعود؟ لماذا؟ لماذا؟

لم يستطع فاسيل أن يفهم

ونصب جسمه حتى قعد : لماذا الليل حالك الظلمة؟ ما معنى كل ذلك؟

آه! هنالك ، كان يلوح ضوء خافت؟ هل الفجر أقبل؟ هل تلك الليلة القاتلة أوشكت على الانتهاء؟

راقب فاسيل بانتباه ذلك الضوء الذى خيل إليه أنه يراه إلى اليمين على البعد (هل هو الفجر؟ هل أتى أخيراً؟ لكنه لم ينتشر ، بل أخذ يتحرك) أجل كان يتحرك! كان يقترب . . . كان يتجه نحوه !!

ولما أشرق الصباح وحاول فاسيل أن يقص ما قد رأى ، كان من الصعب على الآخرين أن يصدقوا قصته تصديقاً تامًّا؛ بيد أن هؤلاء الآخرين كانوا نائمين وكان فاسيل وحده مستيقظًا! لكن هكذا شأن الانسان : لا يصدق إلا بالعيان ...

أما الذى رآه فاسيل فكان صورة آتية فى ثبات نحوه على الثلج ، صورة ناصعة ملتفة فى غلالة من النور . وكانت الصورة هى النور نفسه ، وكانت من شدة البهاء والإشراق بحيث لم يدر فاسيل لِمَ لم توقظ الآخرين من نومهم

وتخلف فى أعقاب الصورة أثر طويل من الضياء طريق من الجلال عليه آثار أقدام مقدسة ... فهو يسوع الذى كان مقبلاً نحو فاسيل . . .

أتى من جوف الليل . كانت صورته من الروعة والجلال بحيث تهالك فاسيل على ركبتيه يعزق قلنسوته من فوق رأسه وتشد يداه المخدرتان إحداهما الأخرى

لقد نسى أوصابه وعذابه ، نسى الشكوك والأسئلة التى ساورته وبهظت نفسه . وجعل ينظر خلال الظلمة ، وامتلأ كيانه بذهول لا يوصف فقد كان رجل النور قادماً نحوه ، نحو فاسيل الجندى الذى سرق صليب الموتى!

لكن ما هذا الذى كان يحمله يسوع على كتفيه؟ هذا الشىء الأسود الثقيل الضخم

إنه صليبه! حتى المسيح يحمل صليبه؟ لماذا؟ لماذا؟ ...

كم يسير بخفة فوق الثلج ، والصليب على كتفيه يبدو كأنه بغير وزن ، مع أن كتفى فاسيل ما زالتا تحسان الثقل الذى آذاها

لم تقف الصورة المضيئة أمام الجندى الشاب وإنما مرت بعينيه ومضة خاطفة من الرحمة اللائكية واجتاز المسيح فى تؤدة البقعة التى كان فاسيل راكعاً فيها ويمم شطر حلقة الجنود النائمين فخطا بينهم . ورأى فاسيل بعينى رأسه ، رأى المسيح يلقى صليبه على الجمرات فيندلع منها شواظ رائع أخذ

يأ كل جوانب الصليب حتى صار الصليب نفسه شعلة هائلة من النور!

لقد جاء المسيح بصليبه، جاء به ليوقد منه ناراً لكيلا يهلك من البرد حماة الوطن البواسل!

ولم يذكر فاسيل مما حصل بعد ذلك إلا قليلا فقد زحف على ركبتيه نحو الشعلة المقدسة ... وسقط مغشياً عليه بجانب الشواظ المتقد ...

تبلج الصباح واستيقظ النائمون واحداً بعد الآخر. يا للعجب! إن الجمرات التي كانت في أول الليل خامدة باردة غدت الآن حمراء حامية يشع منها وهج مبارك، وهج من الشدة وقوة الإنعاش بحيث لم يعد برد الشتاء سوى طيف مخيف أدبر وولى

أخذ كل رجل يثوب تدريجياً من دولة الأحلام وهو يشعر أن شيئاً عجيباً قد حدث، فقد كان جسمه دفاقا وروحه تفيض بجذل لم يستطع تفسيره. حتى أن الأسرى ذوى الوجوه الشاحبة كان يبرق في عيونهم إحساس غريب أشبه بالفرح ...

وصاح سكرتو ينادى فاسيل بصوت فيه تهديد ووعيد: هل خالف أوامره؟ هل أحرق الصليب بينما كان رئيسه نائماً؟

ولكن، لا! هنالك الصليب راقد أشبه بميت مبسوط الذراعين، وإلى جانبه جثا فاسيل على الثلج مشبك الذراعين، يحدق في الشمس الطالعة ...

فرسم سكرتو علامة الصليب

ثم هتف: «فاسيل! فاسيل! ماذا ترى في وجه الشمس؟»

فاتجه إليه فاسيل، كان في عينيه ضياء عجيب، لكنه لم يجب، ولم يعرف سكرتو أية رؤيا كان فاسيل يتبعها نظره وهو يحدق في وجه الشمس الطالعة.

سعد حسنى سعد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية

ص

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى العصر لموسيه، والأوذيسة لهوميروس، ومذكرات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة.

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد